Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

The city in the memory of Nizar Qabbani

Farah Ghanim Salih
University of Baghdad - College of Education for Women - Department of Arabic Language / Baghdad - Iraq

Article information

Received : 15/1/2025
Accepted: 10/4/2025
Published 15/8/2025

Keywords
Nizar, city, women, freedom, revolution

Correspondence:
Farah Ghanim Salih
Farouha_25@yahoo.com

Abstract

The presence of the city in the memory of the poets in general and in the memory of Nizar Qabbani in particular is one of the most important factors for the poet poetry and evoking memories, which reveal the relationship of the poet to the place to talk to him after that place left an impact on the psyche of the poet between sadness, joy and wishful It carries events that inhabited in the poems of poets, and to define issues of love, homeland, nature and other topics present in the poetic text regarding the city to share the reader (the recipient) in producing the text by deciphering the blades of the symbols Who enables the city from its impurities and made it free from chaos and took it for the space of intellectual creativity, to make stories of heroism, struggle, liberation and women an obsession that inhabits the city's alleys, and the research plan has gone on a simplified lighting regarding the biography of Nizar Qabbani and how we were personified by Arab poetry for the roots of the city with all its faces, to take the first demand to search for the city's representations in various issues that the poet Let the second requirement come and start the struggle of roles between the city and the woman.

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المدينة في ذاكرة نزار قباني

فرح غانم صالح

جامعة بغداد – كلية التربية للبنات – قسم اللغة العربية / بغداد – العراق

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2025/1/15

تاريخ القبول : 2025/4/10

تاريخ النشر : 2025/8/15

الكلمات المفتاحية :

نزار ، المدينة ، المرأة، الحرية ، الثورة

معلومات الاتصال

فرح غانم صالح

Farouha_25@yahoo.com

الملخص

يعد حضور المدينة في ذاكرة الشعراء بشكل عام وفي ذاكرة نزار قباني بشكل خاص من أهم العوامل المحركة لشاعرية الشاعر وإستحضار الذكريات ، والتي تكشف عن علاقة الشاعر بالمكان ليتحاور معه بعدما ترك ذلك المكان أثراً في نفسية الشاعر ما بين الحزن والفرح والتمني ، وبعيداً عن الحدود الجغرافية للأمكنة هناك الأبعاد النفسية والإجتماعية والتأريخية التي أحتفظت بها الذاكرة الشعرية ، لنرى رموز المدينة تحمل في طياتها أحداثاً سكنت في قصائد الشعراء ، ولنحدد قضايا العشق والوطن والطبيعة وغير ذلك من موضوعات حاضرة في النص الشعري فيما يخص المدينة ليشترك القارئ (المتلقي) في إنتاج النص بفك شفرات رموز الأمكنة ، وفي رحلة / بحثية لدواوين شاعر عربي رصدنا في شعره معالماً للحب والثورة والتمرد والجمال ، فهو ابن الذات المتغيرة المخلصة لذاكرة المكان ألا وهو (نزار قباني) الذي صفى المدينة من شوائبها وجعلها خالية من الفوضوية وأخذها لمساحة الإبداع الفكري ، ليجعل قصص البطولة والنضال والتحرر والمرأة هاجساً يسكن أزقة المدينة ، وسارت خطة البحث حول إضاءة مبسطة فيما يتعلق بسيرة نزار قباني وكيف شخصنا تناول الشعر العربي لجذور المدينة بكل شواخصها ، ليأخذنا المطلب الاول بالبحث عن تمثلات المدينة في قضايا متنوعة يتحدث عنها الشاعر النزاري في نصه الشعري وليأتي المطلب الثاني ويبدأ صراع الأدوار بين المدينة والمرأة .

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

التمهيد

أ- القباني في سطور

من المعلوم أن الشعر يجتذب عالم الشعر بما يحمله هذا العالم من خبرات وتجارب ، وتكُون التجربة الشعرية لكل شاعر ونظرته إلى العالم من حوله ، والشاعر لا يحقق هذا بنظرة خارجية إلى الأشياء ، فيعكس السطح المرئي أو القشرة الخارجية وإنما يفعله بفعل الحدس والطاقة الكامنة داخله وهذا ما يميز الشعر والشاعر (غالي ، 1978 ، ص18) . ولعل تجربة الشاعر نزار قباني (1923 – 1998) من أكثر تجارب شعراء هذا العصر إثارة للجدل والإلتباس ، بما تحمله من معنى يحتوي الكثير من الأطياف ، إذ ولد نزار قباني في حي دمشقي قديم (مأذنة الشحم) لأب فلسطيني الأصل وأُم دمشقية في أفياء روضة ترفل بأزهارها الست : معتز ، رشيد ، صباح ، نزار ، هيفاء ووصال ، ويُشيد نزار بدمشق التي احتضنته طفلاً وفتى فيقول :

مَسقِط رأسي في دمشق الشّام

هل واحدٌ من بينكم يعرفُ أين الشّام ؟

هل واحدٌ من بينكم أدمَنَ سكنى الشّام ؟

رَواهُ ماءُ الشّام

كواه عشقُ الشّام

تأكدُوا يا سادتي

لن تجدوا في كُلّ أسواق الوُرود وردةٌ كالشّام

لن تجدوا مدينةً حزينةَ العينينِ مثل الشّام (قباني ،1999 ، ص27)

وقد عبّرَ نزار عن حنينه في قوله " كل شيءٍ في نفسي ينتمي إلى هناك ، إلى الطفولة ، والبراءة ، وعريشة الياسمين ، وسجادة صلاة أُمي ، وقهوة أبي في الصباحات الدمشقية ، وأسراب السنونو ، ونافورة الماء الزرقاء (الهواري ، 2001 ، ص11) .

وأجاد نزار الرسم والخط وأولع بالتمثيل والموسيقى قبل أن يستقر نهائياً في ميدان الكتابة والشعر ، ويؤكد ذلك ما ذكره أخوه (صباح) من عدة لافتات بخط نزار لا تزال معلقة في سوق الحميدية

حتى وقتنا الحاضر (الهواري ، 2001 ، ص12) ، أما نشأته الشعرية فيخبرنا الشاعر عن بداياتها وعن صاحب الفضل الأكبر فيها فيقول : " إذا كان الذوق الشعري عجينة تتشكل بما نراه ونسمعه ونقرأه في طفولتنا ، فأنّ خليل مردم كان له الفضل العظيم في زرع وردة الشعر تحت جلدي ، وفي تهيئة الخمائر التي كونت خلاياي وأنسجتي الشعرية (الهواري ، 2001 ، ص12).

ولعل أبرز ما يميز في حياة نزار قباني أنه لم يعرف إستقراراً طويلاً ، فقد تزوج في شبابه من سيدة دمشقية من آل " بيهم " رزق منها ولدين هما (هدباء) و (توفيق) وانتهت حياته معها بالطلاق ، ثم اقترن بسيدة عراقية هي (بلقيس الراوي) التي شُغِفَ الشاعر بها ، وعاشت معه حتى وفاتها في حادث انفجار السفارة العراقية في بيروت سنة 1981 ، وكانت قد انجبت له ولديه (عمر) و (زينب) (الهواري ، 1999 ، ص 12) ، ولقد تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في الكلية العلمية بدمشق ، ونهل في بدايات حياته العلمية من ينابيع الأدب الفرنسي وقرأ لأدبائها ، وبذلك تعرف على الفكر الأدبي الأُوربي وثقافته (جواد ، 2010 ، ص 6) .

<u>الأَعمال الشعرية والنثرية</u>

ترك نزار قباني لعشاق الشعر العربي ونثره حوالي الاربعين كتاباً ، نُشرت جميعها وهو على قيد الحياة فكانت منها

أ- الأعمال الشعري

1) قالت لي السمراء 1944
2) طفولة نهد 1948
3) أنت لي 1950
4) قصائد 1956
5) حبيبتي 1961
6) الرسم بالكلمات 1966
7) يوميات إمرأة لا مبالية 1968
8) قصائد متوحشة وكتاب الحب 1970
9) كُل عام وأنتِ حبيبتي 1978
10) الأعمال السياسية (1967 – 1977)
11) لا 1970
12) أشهدُ أنّ امرأة إلا أنتِ 1979
13) هكذا أكتب تأريخ النساء 1981

14)قصيدة بلقيس 1982
15) الحب لا يقف على الضوء الأحمر 1985
16)قصائد مغضوب عليها 1986
17)سيبقى الحب سيدي 1987
18)الأوراق السرية لعاشق قرمطي 1988
19)تزوجتكِ أيتها الحرية 1988
20)الكبريت في يدي ودويلاتكم من ورق 1989
21) لا غالب إلا الحب 1990
22)هل سمعتي صهيل احزاني وهوامس على هوامش 1991

ب- الأعمال النثرية

1) الشعر قنديل أخضر 1963
2) قصتي مع الشعر 1970
3) عن الشعر والجنس والثورة 1971
4) المرأة في شعري وفي حياتي 1975
5) ما هو الشعر 1981
6) العصافير لا تطلب تأشيرة دخول 1983
7) جمهورية جنوستان (مسرحية) 1988
8) لعبت بإتقان وها هي مفاتيحي 1990 (الهواري ، 2010 ، ص 29)

ب – جذور المدينة في الشعر العربي الحديث

بدأت صورة المدينة بالتبلور في تراثنا الشعبي العربي في العصر العباسي حيث أكتمل الأنموذج المجتمعي الحضاري العربي الإسلامي الذي تمثلت صورته وملامحه في الحواضر الزاهية على مختلف المحاور مثل : بغداد ودمشق وغيرها من المدن الشرقية والممالك الاندلسية ، التي غدت محطة أنظار العلماء والمثقفين وعلى رأسهم الشعراء (رماني ، 1997 ، ص20) .

وبنشوء هذه الحواضر الزاهرة التي عكست صورة الحياة الجديدة المنحدرة من تأريخ الحضارة العربية الإسلامية في حركتها المتقدمة المتغيرة ، فنشأت ردود فعل شعرية ثنائية مزدوجة ، إذ يتحدد الموقف الشعري منها في ثنائية القبول والتبني من جهة ، والرفض والقطيعة من جهة اخرى ، وقد جاءت هذه الثنائية نتيجة طبيعية لهذا التحول (رماني ، 1997 ، ص 21) .

وقد تبع ذلك ما يُسمى بـ (رثاء المدن المنكوبة) إثر الثورات الداخلية ، والانهيار في الحضارة الإسلامية في الأندلس ، فقد سجل الشعراء تلك الوقائع التاريخية التي حدثت في المدينة (عبيدات ، 1987 ، ص 10) ، ومع ذلك فإنّ صورة المدينة في الشعر العربي بوصفها موضوعاً متكاملاً فكرة معاصرة وجذورها السابقة لا تعدو أن تكون مواقفاً متناثرة لم تخلق من المدينة موضوعاً شائعاً ، إذ ينطلق الشعر المعاصر من مفهوم حضاري في تصور جديد للكون والمجتمع والإنسان ، بفعل الثورة العالمية في مستوياتها الإجتماعية والفكرية والتكنولوجية (ابو غالي ، 1995 ، ص 10).

ونرى أنَّ صورة المدينة اتخذت ابعاداً جديدة لدى الشاعر العربي المعاصر ، إذ نتج عن ذلك التدرج في عمق التجربة وتجذرها ، تبعاً لتعمق الأسباب المؤدية إليها ، إذ ((تحضر صورة المدينة العربية في الشعر العربي ، من عهد الاحياء إلى اليوم كأنها متاه لصراع الذات مع نفسها ومع الآخر ، ومن هنا تبدو المدينة مفهوماً مضطرباً ، يحمل التعارض إلى التناقض من الرفض إلى القبول ، لم تكن

النهايات غير دموع الخلاص المرتقى أو احزان الحلم المستحيل)) (رماني ،1997 ،ص280) . ولا بد من الإشارة إلى أنَّ موقف المدينة في الشعر العربي المعاصر بدأ في ظل الرومانسية ، وبخاصة عند شعراء المهجر فقد كانوا أكثر تعرضاً لضغوطات المدينة ، ولا سيما أن المدينة هنا كانت الغريبة التي طغت بكل عوامل الغربة الإجتماعية والنفسية على كيان المهاجر العربي الذي احتمى منها بالهرب الرومانسي إلى عالم الطبيعة والطفولة والحياة البدائية البسيطة التي لم تعقدها ماديات المدينة (الورقي ،1991،ص15) .

المطلب الأَول

تمثلات المدينة وقضايا الوطن / النضال / التحرر

إنَّ الوطن يبقى في وجدان كل شاعر وضميره ، فالوطن يمثل للشاعر غاية الحب ، فكثيراً ما تغنى الشاعر بحب وطنه لأنه بيته ومأواه بل هو الكيان الأمثل الذي يجب على أبناء الأُمة أن يتفانوا دونه، فهو هوية الشعب وماضيه وحاضره ومستقبله ، فنجد الشاعر نزار قباني يُعبر عن هذا الحب بأرق الكلمات وأعذب الألحان حاملاً أنشودة الوطن رأيه للأجيال : (جواد ،2010، ص8) .

ليقول :-

عندما أشرب الكأس الأول / أرسم الوطن دمعة خضراء واقع ثيابي / واستحم فيها / أرسم الوطن على شكل امرأة جميلة / وأشقُّ نفسي بين نهديها / وعندما أشرب الكأس الثالثة / أرسم الوطن على شكل مشنقة تتدلى قصائدي في احتفال مهيب (قباني ، 1999،ص 121) .

ومن الجدير بالذكر إلى أن القرية لم تُعد كما تركها الشعراء من قبل ، وإنما تسربت إليها من المدينة بعض المكتسبات التي عبرت عن معالمها ، من إضاءة وأسواق ومؤسسات وشركات ومصانع ، مما ألحق الأذى ببعض القيم التي كانت سائدة آبان رحيلهم ، وقرب البون الشاسع بين مفهومي القرية والمدينة ، ونلحظ كيف أنَّ بعض الشعراء هربوا من جحيم المدينة إلى القرية ، إذ صدموا في قراهم التي أصبحت مدناً فهربوا الهروب الثاني من القرية إلى المدينة (ابو غالي ، 1995 ، ص78) .

إنَّ رؤية نزار قباني للمدينة تختلف عن رؤية معظم الشعراء المعاصرين لها ، فهو من الذين قبلوا المدينة ، وراحوا يبحثون عن الطرق التي تصل بها إلى الصورة الأمثل ، وذلك بالنظر إلى الجانب الغربي الحضاري لتكون المقارنة العربية والمدينة الغربية في فكره ، والحياة الإجتماعية في كل منها وفي رؤاه ، وهو بذلك يحاول أن يربط بين الخطوط التراثية والخطوط الحضارية للخروج بصورة تكاملية في رؤيته للمدينة ، لتصبح لديه مدينة أنموذجية تحتفظ بتراثها الأصيل العريق ، وتمتلك حضارتها الحديثة بكل ما في الكلمة من معنى (عبد الله ، 2002 ، ص16) .

ويقف نزار مع الحرية والتحررية الإجتماعية ويقول بأن مشكلة الشعب ليست الخبز والماء رغم أنه يعيش الكفاف بل أنَّ مشكلته التي يبحث عنها هي الحرية ولكن الحكام يعتقدون أن الشعوب عقولها في معدتها (ابادي ، 2010 ، ص 9) .

وبذلك تطرق في شعره إلى قضية فلسطين والدفاع عنها ، فهذه القدس والخليل وبيسان والأغوار وبيت لحم منبع الثوار يُحيّيها نزار ويُحَّي ثوارها البواسل ويشدُّهم البقاء على طريق النضال ودروب الكفاح (عبد الله ، 2002 ، ص 96) .

ليقول :-

يا أيها الثوار / في القدس ، في الخليل ، في بيسان ، في الاغوار ، في بيت لحم / حيث كنتم أيها الأحرار / تقدموا .... تقدموا / فقصة السلام مسرحية / والعدل مسرحية / إلى فلسطين طريق واحد / يمرُّ فوق بندقية (قباني، 1999، ص 330).

ومن شغفه بالدفاع عن الثوار في فلسطين إلى الجزائر حيث جبال الأطلس ووهران التي أنجبت الأُنثى المناضلة الثائرة ، فيقول نزار لا يمكن أن يكشف وجه الثورة الجزائرية إلّا من رأى إنساناً جزائرياً ، ولا يمكن أن يعرف طبيعة الثورة إلّا من تكلم أو دخل حواراً مع جزائري أو جزائرية ، تلك الأُنثى (جميلة بوحيرد) التي تحدّت الجبروت والقهر ونالت من المحتل الفرنسي ، ولم تأبه للتعذيب والسجن والتنكيل قانعة بإيمانها العميق بالله وبدينها وقرآنها الذي ختمته بيدها ، ستسترجع آيات مؤثرة مع ضوء الفجر في زنزانتها من سورة (مريم) و (الفتح) (زيادة ، 1996 ، ص105) :

ليقول :-

الاسم جميلة بوحيرد / رقم الزنزانة : تسعونا / في السجن الحربي بوهران / والعمر اثنا وعشرونا / عينان كقنديلي معبد / والشعر العربي الاسود / كالصيف كشلال الأحزان / إبريق للماء وسجّان / ويد تنضم على القرآن / وامرأة في ضوء الصبح / تسترجع في مثل البوح / آيات محزنة الإرنان / من سورة مريم والفتح (قباني ، 1999 ، ص 2013 – 2014) .

لقد قضوا على جسدها لكن روحها الثائرة الأبية سرت كتيار أضاء الغرب بل الدنيا بأسرها وأصبحت جميلة رمزاً للبطولة والتضحية والفداء ويفخر بها نزار لأنها عربية أذلّت جبروت

9المعتدي وخلدها التأريخ كما خلد وطنها الذي صمد بوجه الأعداء فإذا كانت فرنسا تتفاخر بوطنية (جان دارك) فإنها تتضاءل امام عظمة (جميلة) (زيادة ، 1996 ، ص 105) ليقول :

الاسم جميلة بوحيرد / تاريخ ... ترويه بلادي / يحفظه بعدي أولادي / تاريخ امرأة من وطني / جلدت مقصلة الجلاد / امرأة دوخت الشمس / جرحت أبعاد الأبعاد / ثائرة من جبل الأطلس / يذكرها الليلك والنرجس / يذكرها زهر الكباد / ما أصغر (جان دارك) فرنسا / في جانب (جان دارك) بلادي (قباني ، 1999 ، ص 215).

لينتقل نزار إلى بورسعيد والسويس ونرصد صور البطولة والصمود في وجه العدوان الثلاثي ، ليشترك الجيش المصري وأبناء الشعب المصري في تسجيل صور النصر ، ليقول :

يا ولدي / هذه الحروف الثائرة / تأتي إليك من السويس / تأتي إليك من السويس الصابرة / إني أراها يا أبي ، من خندقي ، سفن / اللصوص محشودة عند المضيق / هل عاد قطّاع الطريق ؟ / هذي الرسالة يا أبي / من بورسعيد / أمر جديد / لكتيبتي الأولى ، ببدء المعركة / هبوط المظليون خلف خطوطنا / أمر جديد ... / في الريف في المدن الكبيرة / في الصعيد / إلا وشارك ، يا أبي / في حرف أسراب الجراد / في سحقه / في ذبحه حتى الوريد هذي الرسالة يا أبي ، من بورسعيد (قباني ، 1999 ، ص 691 – 693) .

وأدّت حرب تشرين عام 1973 التي استعاد فيها نزار آماله – كما كل العرب المخلصين – دوراً مهماً في شعره السياسي من حيث تجديده وتكثيفه على صعيد الرؤى والأحداث ، وتغمد الفرحة قلب نزار نشوة بإنتصار تشرين ، وذلك الطفر الذي اعاد له الثقة بنفسه ، فيخاطب دمشق البطولة والنضال التي تحولت بعد الفرحة إلى عروس يقدم لها دموعه سواراً في يوم عرسها ، ويسألها أن تضع طرحة العرس وتتمنى ما تشاء في يوم عرسها فمهرها ثمين (يوسف ، 2002 ، ص94)

ليقول :-

يا دمشق البسي دموعي سواراً / وتمني ، فكل صعب يهوى / وضعي طرحة العروس ... لأجلي / أن مهر المناظرات ثمين / مزقي يا دمشق خارطة الذل / وقولي للدهر كن ... فيكون (قباني ، 1999 ، ص 798).

وفي هذا المقطع نرى كيف يطفو حقد نزار على الذل والقهر ويطلب إلى دمشق أن تتمرد وتمزق خارطة الذل ، وبذلك تتضح الحقيقة بأن لا منطق سوى القوة ولا لغة سوى لغة السيف ، وهذا ما أكدته دمشق بالفعل ، ليقول نزار : صدق السيف وعده يا بلادي / فالسياسات كلها افيون / صدق السيف حكماً وحكيماً / وحدة السيف ، يا دمشق ، واليقين (قباني ، 1999 ، ص 799) .

ويستمر نزار بقوله :

والخيل تبدأ من دمشق مسارها / وتنشد للفتح الكبير ركاب (قباني ، 1999 ، ص 855) .فالخيل تبدأ مسيرتها من دمشق ومنها تشد الركاب للفتح الكبير ، بذلك صور نزار حضور المدينة بكل حالاتها المدافعة والحزينة والمناضلة والباحثة عن التحرر ، وابدع بوصف مدى حزنه وألمه لما حدث لسوريا ومصر والجزائر .

المطلب الثاني

المرأة والمدينة وتبادلهما الأدوار

للمرأة قديماً وحديثاً إرتباطاً شديداً بالشعر ، فظهرت بين طيات الشعراء المرأة الأُخت و المرأة الزوجة والبنت والمرأة العاملة والشاعرة ، وتناولها نزار كروح تسري وجسد يبهر ، وتدرج من الداخل إلى الخارج ومن الخارج إلى الداخل ، فما ترك لها ولا عليها ، والمرأة عنده هي المحور الذي يدور حوله والفلك الذي يسير فيه ، وقد تخرج المدينة عند الشعراء قديماً وحديثاً من دلالتها اللغوية لتشمل دلالات أخرى جرى التعبير عن بعضها بالكلام على المدينة كأنها امرأة ماثلة امام الشاعر ، ليقول نزار في قصيدة ام المعتز التي كان يرثي فيها والدته :
كان هنالك مدينة حبيبة تموت ..... أسمها بيروت / وكانت هناك أم مدهشة تموت ... أسمها فائزة / فهل كان مصادفة أن تموت بيروت / وتموت أمي في وقت واحد ؟ (قباني ، 1999 ، ص 43) .

هنا يرسم نزار صورة لبيروت رائعة فهي الأُم التي ترعى أبناءها ، والتي فقدها خلال الحرب الأهلية (1975 – 1990) وصحيح أنه قال عنها مدينة حبيبة ، ولكنه قرنها بذكر الأُم ، فتحولت عنده المدينة إلى أُمٍ ثانية ، أُم تحمل صورة ثقافية ليقول في نص آخر عن بيروت :

بيروت المرأة التي حبلت بنا في وقت واحد / وأرضعتنا من ثدي واحد (قباني ، ج2 ، 1980 ، ص366) .

يركز نزار في هذه القصيدة على الأُم المرضع ، وتتجلى بذلك نزعة الأخذ ، لذلك أبدع في تصوير الأُم للدلالة على أن الشاعر في طفولته الفكرية كان يأخذ من بيروت علماً وثقافة ومعرفة ، وبعد أن نهشت الحرب الأهلية (1975 – 1990) جسد دمشق حزن عليها الشعراء ، وعبروا عن الأمر من خلال صورة المرأة المقهورة والمقتولة والأَرملة والضحية ، ليستمر بقوله نزار في نصه الشعري ((عصفور يخرج من غرناطة)) :

بيروت أرملة العروبة / والطوائف / والحرية والجنون / بيروت تذبح في سرير زفافها / والناس حول سريرها متفرجون / بيروت تنزف كدجاجة في الطريق / فأين فر العاشق ؟ (قباني ، 1999 ، ص78) .

تظهر بيروت هنا في هذا النص على أنّها أرملة ، تعرضت لجريمة نكراء هي جريمة الخيانة والعذاب والقتل / قتل العروس ليلة زفافها / لذلك نرصد كيف يصور نزار دفاعه عن حبيبته بيروت ، إلّا أنه لا يجد من يسمع صراخه سوى القتلة ، فصارت المدينة تواجه مصيرها وحدها وهي تحتضر كالدجاجة المذبوحة في الطريق ، ويبقى المحب لها متفرجاً لا يأبه .

ونرى نزاراً في قصيدته ((يا ست الدنيا يا بيروت)) يقول ...

يا ست الدنيا يا بيروت / من باع أساوركِ المشغولة بالياقوت / من صادر خاتمكِ السحري / وقصَّ ضفائركِ الذهبية / من ذبح الفرح النائم في عينيكِ الخضراويين فقلنا امرأة كانت تدعي الحرية(قباني ، ج3 ، ص 575).

في هذا النص الشعري يُدخل الشاعر نزار قباني القارئ في متاهة الرمزية بمعنى هناك صورة حزينة بعد فقدان ست الدنيا (بيروت) فهي الوطن الذي أُستلبت حريته ليبحث نزارعن الإنسانية في وصف دقيق لتلك المرأة الجميلة وهنا صراع تبادل الأدوار ما بين المدينة والمرأة ، مابين الجمال والمعاناة بعدما تهدمت المدينة أنهارت تلك المرأة صاحبة الضفائر الذهبية والعين الخضراء وأساور الياقوت ، ليبقى رمز الحرية هاجساً لدى الشاعر ليؤكد جمالية المرأة والمدينة ، ومدى تشابههما الفكري والعاطفي والنفسي في مخيلة الشاعر والمتلقي .

النتائج

لحضور المدينة في ذاكرة نزار قباني الأثر الكبير في تحديد الدلالات المتلونة للنص الشعري ، فكان تأثر نزار بمعالم الطبيعة في مدينته واضحاً في شعره وهو يرى في المدينة المرأة الجميلة وفي المرأة المدينة الحرّة ، ليكشف ما يخفى من خلجات النفوس من مشاعر تصف صراع الأدوار ما بين المرأة والمدينة وكيف نختزل الذاكرة النزارية معالم المدينة بإطارها الحضاري ، فكانت لدمشق صورة المدينة الآمنة الحاضنة لطفولة الشاعر فلم يُعاديها في شعره لكنه يرى في بيروت مدينة غريبة عليه بجوانبها المادية كونه متأثراً بالوجه الثقافي لدمشق ، لذلك جعل مساره الشعري واقعياً يعبر عن هموم المرأة والمجتمع ، فالمدينة في ذاكرة نزار تمثل الهوية أي الانتماء فهو شاعر المرأة والحب والسياسة وجاهد ليقدم رؤية معاصرة لقبول المدينة والدفاع عنها ، لتكن المرأة فيها مدللة لا يقبل حزنها أو إحتلالها أو غرورها فنظرة نزار للمرأة لم تكن بعد زواج بلقيس نظرة جسدية ، بل نظرة جمال وحب واحتواء ومن رؤيته المعاصرة يرفض أي احتلال للمدينة ليقدم مفارقة في إعادة تركيب الصورة بدلالات جديدة ، فهو معتز بالوجه التأريخي والديني للمدينة ولم ينس الوجه الثقافي لها ، وبذلك تجسدت المدينة في ذاكرة نزار بأبعادها المتنوعة ليشارك القارئ إنتاج المعنى ويؤثر في ذاكرة الأَجيال .

قائمة المراجع :

- ❖ الأعمال السياسية الكاملة ، نزار قباني ، ط2 ، بيروت ، منشورات نزار قباني ، 1999 .
- ❖ الأعمال الشعرية الكاملة ، نزار قباني ، ج3 ، بيروت ، منشورات نزار قباني ، 1999 .
- ❖ شعرنا الحديث إلى أين ، شكري غالي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط2 ، 1978 .
- ❖ المدينة في الشعر العربي (الجزائر انموذجاً 1925 – 1962) ، د. ابراهيم رماني ، الهيئة العامة للكتاب ، 1997 .
- ❖ المدينة في الشعر العربي المعاصر ، د. مختار ابو غالي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، نيسان ، 1995.
- ❖ المرأة في شعر نزار قباني ، صلاح الدين الهواري ، دراسة نقدية ، بيروت ، دار البحار ، ط1، 2001 .
- ❖ الموقف من المدينة في الشعر العربي المعاصر ، د. السعيد الورقي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1991 .
- ❖ نزار قباني شاعر الحب والسياسة والمرأة ما لديه وما عليه ، احمد زيادة ، ط1 ، دار الأمين ، القاهرة ، 1996 .
- ❖ سمات الأدب الواقعي في شعر نزار قباني السياسي ، حسين شمس آبادي ، مجلة الأدب العربي ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، جامعة طهران ، ربيع 2010 .

- مظاهر أدب المقاومة في شعر نزار قباني ، سعدون زادة جودة ، مجلة الأدب واللغة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية في كرمان ، ربيع 210 .
- صورة المدينة في الشعر العربي الحديث ، زهير محمود عبيدات ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، 1987 .
- صورة المدينة في شعر نزار قباني ، قتيبة يوسف عبد الله ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، 2002.

Bibliography of Arabic References (Translated to English)

- The Complete Political Works, Nizar Qabbani, 2nd ed., Beirut, Nizar Qabbani Publications, 1999 .
- The Complete Poetic Works, Nizar Qabbani, vol. 3, Beirut, Nizar Qabbani Publications, 1999.
- Where Is Our Modern Poetry Going?, Shukri Ghali, Dar Al-Afaq Al-Jadida, Beirut, 2nd ed., 1978 .
- The City in Arabic Poetry (Algeria as a Model 1925–1962), Dr. Ibrahim Ramani, General Egyptian Book Organization, 1997 .
- The City in Contemporary Arabic Poetry, Dr. Mukhtar Abu Ghali, World of Knowledge Series, Kuwait, April 1995 .
- Women in the Poetry of Nizar Qabbani, Salah al-Din al-Hawari, A Critical Study, Beirut, Dar al-Bahar, 1st ed., 2001 .
- The Attitude towards the City in Contemporary Arabic Poetry, Dr. Al-Saeed Al-Warqi, Dar Al-Ma'rifah Al-Jami'ah, Alexandria, 1991.
- Nizar Qabbani, Poet of Love, Politics, and Women: His Pros and Cons, Ahmad Ziyada, 1st ed., Dar Al-Amin, Cairo, 1996.
- Features of Realistic Literature in Nizar Qabbani's Political Poetry, Hussein Shams Abadi, Journal of Arabic Literature, Faculty of Arts and Humanities, University of Tehran, Spring 2010 .
- Aspects of Resistance Literature in Nizar Qabbani's Poetry, Sa'doun Zadeh Jodeh, Journal of Literature and Language, Faculty of Arts and Humanities in Kerman, Spring 2010 .
- The Image of the City in Modern Arabic Poetry, Zuhair Mahmoud Obeidat, MA thesis, Yarmouk University, 1987 .
- The Image of the City in Nizar Qabbani's Poetry, Qutaiba Yousef Abdullah, MA thesis, Mutah University, 2002 .